٢٩ ـ المصريون المحدثون
شمـــائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين
للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل التاسع — اللغة والأدب والعلوم

تتألف السنة الهجرية من اثني عشر شهرا قمريا[1] ، ويتأخر التقويم القمري عن التقويم الشمسي سنة في كل ثلاث وثلاثين سنة ونصف تقريباً ، ولذلك لا يستعمل هذا التقويم إلا في تحديد الأعياد الدينية والمواسم السنوية ؛ فلا يستعمل في حساب الفلك ولا في تحديد الفصول . وإنما يستخدم فيها التقويم القبطي .

وقد ذكرت فيما يلي الشهور القبطية بأسمائها الحديثة[1] مع ما يقابلها من التقويم الميلادي

توت	ويبدأ في العاشر أو الحادي عشر من سبتمبر	برمهات	ويبدأ في التاسع من مارس
بابة	« العاشر أو الحادي عشر من أكتوبر	برمودة	« في الثامن من إبريل
هاتور	« التاسع أو العاشر من نوفمبر	بشنس	« في الثامن من مايو
كيهك	« التاسع أو العاشر من ديسمبر	بؤونة	« في السابع من يونيو
طوبة	« الثامن أو التاسع من يناير	أبيب	« في السابع من يوليو
أمشير	« السابع أو الثامن من فبراير	مسرى	« في السابع من أغسطس

ويلحق بالسنة القبطية خمسة أيام أو ستة تسمى أيام النسيء

والشهر القبطي ثلاثون يوماً ، ويضاف إلى كل سنة من السنوات الثلاث المتتالية خمسة أيام ، وإلى السنة الرابعة ستة أيام . والسنة القبطية الكبيسة تليها مباشرة سنة ميلادية كبيسة . فالسنة القبطية تبدأ في الحادي عشر من سبتمبر فقط عندما يسبق هذا الشهر سنة قبطية كبيسة أو تلحقه سنة ميلادية كبيسة . ولذلك تتشابه الأيام المتقابلة في التقويمين القبطي والميلادي بعد شهر فبراير التالي . ويبدأ القبط تاريخهم من عصر دقلديانوس سنة ٢٨٤ م

ويقسم المصريون المحدثون السنة إلى ثلاثة فصول كما كان يقسمها أسلافهم وهي : الشتاء والصيف والنيل . ويستعمل الفلكيون تقويم الأبراج القمرية التي اعتاد أهل الجزيرة العربية تنظيم شؤونهم المتعلقة بالفصول عليها

ويبدأ الوقت المدني في مصر وغيرها من البلدان الإسلامية من غروب الشمس إلى الغروب التالي ، فيحسب الليل السابق مع النهار التالي ، وتسمي الليلة السابقة ليوم الجمعة مثلاً ليلة الجمعة

---

(١) جرى المؤرخون الأوربيون على أن أول يوم في الهجرة كان يوم الجمعة السادس عشر من يوليو سنة ٦٢٢ ميلادية ؛ إلا أن كوسان دي برسفال Caussin de Perceval في كتابه : مقالة في تاريخ العرب Essai sur l'histoire des Arabes بين خطأ ذلك . فالعام الهجري الأول كان العام الحادي عشر بعد الثلاثة من عهد كان العرب يستعملون فيه حساباً قمرياً شمسياً ناقصاً جاعلين العام الثالث من كل ثلاثة أعوام ثلاثة عشر شهراً قمرياً . وقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الطريقة في الشهر الثاني عشر من العام العاشر للهجرة وقت الحج . ومن هنا يتضح أن العام الأول للهجرة بدأ على الأرجح يوم الاثنين التاسع عشر من إبريل سنة ٦٣٢ ميلادية ، وطبقاً لرأي كوسان دي برسفال تبدأ السنين العشرة الأولى للهجرة في التواريخ التالية :

سنة	سنة
العام الأول الاثنين ١٩ إبريل ٦٢٢	العام السادس الخميس ٢٣ إبريل ٦٢٧
« الثاني السبت ٧ مايو ٦٢٣	« السابع الثلاثاء ١٢ إبريل ٦٢٨
« الثالث الخميس ٢٦ إبريل ٦٢٤	« الثامن الاثنين أول مايو ٦٢٩
« الرابع الاثنين ١٥ إبريل ٦٢٥	« التاسع الجمعة ٢٠ إبريل ٦٣٠
« الخامس السبت ٣ مايو ٦٢٦	« العاشر الثلاثاء ٩ إبريل ٦٣١

وهكذا يبدو أن الأعوام الأول والرابع والسابع كان يتألف كل منها من ثلاثة عشر شهراً قمرياً ، وأن العام السابع كان آخر هذه الأعوام وهكذا يبدأ الحساب القمري السادي بالعام الثامن ، ويمكننا أن نستخدم استناداً على هذا الرأي الجداول التي تشير إلى بدء السنين الهجرية ولكن لا ينبغي أن نعتمد على دقة هذه الجداول لأن بدء الشهر يحدد برؤية الهلال ولذلك يختلف باختلاف الأماكن ، ولم تبدأ السنة الهجرية من يوم هجرة الرسول صلعم من مكة كما يفترض أغلب مؤرخينا الذين بحثوا هذا الموضوع ، وإنما تبدئ من أول يوم القمر أو من شهر محرم السابق لهذا الحادث . ويقال إن الرسول بعد أن ظل مختفياً مع أبي بكر ثلاثة أيام في غار ثور بدأ هجرته إلى المدينة في الخامس من الشهر الثالث أي ربيع الأول بعد ستة وثمانين يوماً من بدء هذا التاريخ

(١) وقد ذكرت الأسماء القبطية القديمة في كتاب Horae Aegyptiacae تأليف R. S. Poole ص ٢ — ٩ ، وقد أشير فيه أيضاً إلى اشتقاقها من أسماء الآلهة المصرية القديمة في ص ١٤ و ١٥ و ١٨

ويوافق غروب الشمس الساعة الثانية عشرة ، فتكون الساعة واحدة بعد غروب الشمس بساعة، والساعة الثانية بعده بساعتين، وعلى هذا المنوال يحسب الوقت حتى الثانية عشرة . وبعد الثانية عشرة صباحاً تبدأ الساعة واحدة مرة أخرى ، ثم الساعة الثانية وهكذا [1] . ويملأ المصريون ساعاتهم ويضبطونها عند الغروب عندما يسمعون آذان المغرب على العموم ، وتضطرهم طريقة حسابهم الوقت من الغروب ، إلى ضبط ساعاتهم كل مساء ، إذ أن الأيام تختلف طولاً وقصراً

ويبين الجدول الآتي أوقات الصلاة عند المسلمين [2] مع ما يقابلها من الوقت الأوربي الظاهر عند الغروب على خط عرض القاهرة في بدء كل منطقة من مناطق البروج

	غروب				عشاء		فجر		ظهر		عصر	
	اسلامي		أوربي		اسلامي		اسلامي		اسلامي		اسلامي	
	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق
يونيو ٢١	١٢	٠٠	٧	٤	١	٣٤	٨	٦	٤	٥٦	٨	٣١
يوليو ٢٢ مايو ٢١	١٢	٠٠	٦	٥٣	١	٣٠	٨	٣٠	٥	٧	٨	٤٣
أغسطس ٢٣ ابريل ٢٠	١٢	٠٠	٦	٣١	١	٢٢	٩	٢٤	٥	٢٩	٩	٤
سبتمبر ٢٣ مارس ٢٠	١٢	٠٠	٦	٤	١	١٨	١٠	٢٤	٥	٥٦	٩	٢٤
اكتوبر ٢٣ فبراير ١٨	١٢	٠٠	٥	٣٧	١	١٨	١١	١٨	٦	٢٣	٩	٣٥
نوفمبر ٢٢ يناير ٢٠	١٢	٠٠	٥	١٥	١	٢٢	١١	٥٩	٦	٤٥	٩	٤١
ديسمبر ٢١	١٢	٠٠	٥	٤	١	٢٤	١٢	١٥	٦	٥٦	٩	٤٣

يطبع في مطبعة الحكومة ببولاق [3] تقويم صغير سنوي ، ويشمل هذا التقويم السنة الشمسية منذ بدأ الاعتدال الربيعي إلى نهايته ، وأيام الأسبوع والشهور الإسلامية والقبطية والسريانية والإفرنجية مع الإشارة إلى حركات الشمس في منطقة البروج وأوقات الشروق والظهر والعصر . ويصدّر التقويم بنبذة في أهم المواسم والأعياد الإسلامية والقبطية وغيرها وبعض الملاحظات والإرشادات المتعلقة بالفصول . ويلحق بالتقويم نتيجة طبية وزراعية لكل يوم من أيام السنة . ويشير التقويم إلى الخسوف والكسوف كما يشمل أموراً كثيرة، تلائم خرافات الشعب وتتضمن آثاراً من التقويم المصري القديم . ويقوم بعمل هذا التقويم قسيس سوري مسيحي اعتنق الإسلام يسمى يحيى افندى [1]

وليس للمصريين معرفة بالجغرافيا إلا فئة قليلة أكثر ثقافة . ويكاد المصريون يجهلون موقع أكثر البلدان الأوربية الكبيرة جهلاً تاماً لعدم وجود الخرائط الجيدة . وقلما يجرؤ بعض المتعلمين منهم على إعلان كروية الأرض ؛ إذ أن أكثر علمائهم على عكس هذا الرأي . والرأي السائد بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم أن الأرض مهاد يحيط به المحيط [2] الذي يحده جبال (قاف) كما يزعمون . ويعتقد هؤلاء أن هذه الجبال هي ذروة الأرض السابحة ، كما يعتقدون أن السموات سبع طبقات تعلو إحداها الأخرى

فإذا كان هذا هو حال العلم عند المصريين المحدثين ، فلا يعجب القارئ إذا وجد بعد هذا الفصل فصلاً ضافياً يصف خرافاتهم . والإلمام بهذه الخرافات لازم ليتبين القارئ أخطاءها وليستطيع

(١) وبالتالي إذا طرحنا ساعة الظهر العربية في يوم معين من ١٢ نحصل على ساعات الغروب الأوربية في هذا اليوم

(٢) وقد ذكرنا هنا أوقات العشاء والفجر والعصر تبعا للحساب الأكثر شيوعا في القاهرة (أنظر فصل الدين والشرع)

(٣) وقد طبع في هذه المطبعة أكثر من مائة كتاب مدة زيارتي الثانية لمصر ، وكان أكثر هذه الكتب لاستعمال الجيش والبحرية ومستخدمي الحكومة . وقد طبع منذ ذلك الوقت في المطبعة نفسها كتاب ألف ليلة وليلة وخطط المقريزي وعدة كتب أخرى على نفقة بعض الأفراد

(١) وقد استبدل أبناء مقلمي الأخير بمصر بتقويم يحيى افندى تقويم آخر ألفه محمود افندى ، وهذا التقويم الأخير مطابق للأغراض الفلكية وأحسن من السابق وهو مشرف لمؤلفه أيضاً

(٢) كما كان يعتقد اليونان في عهد هوميروس وهزيود Hésiode